الدرس الخامس من التعليق على كتاب الأمثال لابن القيم

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.

يقول الله تبارك وتعالى: (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ).

قال المؤلف رحمه الله : ((ثم ذكر المثل الناري فقال: (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيرمى ويطرح ويذهب جفاء فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث ويستقر في قرار الوادي الماء الصافي الذي يسقي منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم كذلك يستقر في قرار القلب وجذره الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره (ومن لم يفقه هذين المثلين ولم يتدبرهما ويعرف ما يراد منهما فليس من أهلهما والله الموفق)).

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

أما بعد.

فنرجو الله أن نكون من أهل هذين المثلين فهماً وأن نكون من المؤمنين فيما ضرب الله تعالى من المثل المائي والناري .

هذا المثل الرابع وسبق ثلاثة أمثلة اثنان منهما للمنافقين يخص الهدى و الأمن وضرب الله عز وجل المثلين السابقين للمنافقين ثم ثنى المصنف بذكر مثلين يقابلان ذلك المثلين للمؤمنين فضرب الله في هذه الآية المثل المائي ثم المثل الناري .

وتكلمنا أن الماء مشبه بالوحي وأنه يسيل في الأودية والأودية هي القلب والماء يجري والجريان والاحتكاك يولد مشارب الشبهات والشهوات والشهوات والشبهات كالغثاء الذي يكون في السيل الذي يجري ونهاية الشهوات والشبهات في حق الأفراد والجماعات إنما هي ضياع وذهاب، فنحن لا نخاف على ديننا ولكننا نخاف على أنفسنا ،وقلنا هذا المثل شبيه بما يجري من المناظرات والمسائل الهادئة التي تحتاج إلى فكر.

ثم ضرب الله تعالى بعد ذلك مثلاً آخر فيما يخص صهر المعادن، فقال " ومما يوقدون عليه في النار " هذان المثلان إشارة سريعة واضحة لسنة لله قائمة وسنة الله تعالى لا تتخلف، وفائدة الأمثال في القرآن أنها سنن جارية باقية لا يمكن أن تتخلف في حق شخص أو في حق أمة ،

فإشارة إلى قانون المدافعة ونهاية هذه المدافعة أن الباطل يذهب جفاء فهو لا وزن له وأن الحق باق فشبه النبي شبه الله تعالى الباطل بالزبد فينتهي بعد انتهاء السيل وأما الحق ففيه الثبات وفيه البقاء وفيه النفع وهو سيبقى وسيضمحل الباقي ، فالمعادن تُحمى وتُصهر وبعد أن تحمى وتصهر وهذه كناية عن البلاء ، المثل الناري ها هنا أشبه ما يكون بما يجري بين المسلمين والكافرين في المعارك وما يجري بما فيه حرارة وفيه مصاولة ومجاولة، وهو ليس مثلاً هادئاً إنما هو مثل صهر معادن وذكر الحرارة التي تكون والنتيجة التي يثنوها هذا المثل.

وهذا يؤتي بالصراع القتالي الحربي بين أنصار الحق والباطل، فالمعادن تُحمى وتُصهر ويظهر من هذه المعادن الخبث، وهذا الخبث ينفك عن المعدن الأصيل ، الذهب لما يصهر يكون تبراً يكون وكذلك سائر المعادن التي لها قيمة تُعرض للنار وتصهر فيذهب الخبث الذي فيها ويبقى المعدن يبقى قائماً، بل يزداد أصالة، ويزداد قيمة بعد تعرضه للنار ، فيبقى المعدن الخالص النقي الذي تصاغ منه الحلية، والذي يصاغ منه المتاع الذي ينفع الناس، ويبقى حاضراً موجوداً خالصاً من كل شائبة.

الآن لو نظرنا إلى فعل فتن في اللغة العربية:

ما معنى فتن في اللغة العربية ؟

الفتنة في العربية إذابة الذهب والفضة ، هذا يسمى في العربية إذابة الذهب والفضة والمعدن الذي يكون فيه الجيد مع الرديء والأصيل مع الدخيل هذا يسميه العرب الفلز ، فهذا الفلز

يعرض على النار ، ثم تنقى الشوائب منه –وهو الخبث الذي لا ينفع الناس وهو الجفاء الذي لا يبقى–.

ثم العرب تتوسع في المعاني وأطلقت فتنة على الضلال والإثم والكفر والفضيحة والعذاب والفجور، وأصبح لها متعلقات، وهذه المتعلقات تكون في الأهل والمال والجيران، ومن أشهر الفتن التي يتعرض لها المسلمون فتنة النساء ، وقد قالوا قديماً: الجمال والمال يسيلان اللعاب ، فتن الناس في المال والجمال.

والنبي ﷺ قال " فتنة أمتي المال " فالمال فتنة قلة وكثرة ، فمن كان فقيراً فهو مفتون في المال ومن كان غنياً فهو مفتون في المال .

والسعيد من جعل الله المال في يده لا في قلبه وسلطه على ماله لينفقه في مرضات الله سبحانه وتعالى.

والنبي ﷺ أخبرنا في حديث عجيب بين معنى الفتنة التي فيها هذا المثل بين قال ﷺ " فتنة الرجل في أهله وماله وجيرانه تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " والحديث في صحيح مسلم.

وهذا المثل وهذا الحديث نحتاج أن نقف عنده وقفة مهمة ، النبي ﷺ ذكر ثلاثة أمور وذكر مكفرات لها وهي ثلاثة أمور.

ذكر الفتنة الأولى فتنة الرجل في أهله كفارتها الصلاة، أن تأمرهم بالصلاة، فمن لم يأمر أهله بالصلاة ويمتثل قول الله " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها " هذا مفتون، وأهله عذاب عليه، " إنما أموالكم وأولادكم فتنة " .

فتنة الرجل في ماله كفارتها الصدقة ، ومن لم يسلط الصدقة ويخرجها من ماله فهو مفتون في ماله .

وفتنة الرجل في جيرانه تكفرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن لم يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر في جيرانه فهو مفتون بهم ، وهذا يسمى في علم العربية فيه لف ونشر مرتب، ذكر ثلاثة أشياء وجعل ثلاثة أمور تكفر هذه الأشياء الثلاثة، فعلماء البلاغة يسموه لف ونشر مرتب بنفس الترتيب ، ثلاث فتن بثلاثة أشياء.

فالإنسان يفتن، وهذه الفتن مآلها إلى أن الحق هو الذي يبقى، والحق فيه نفع وفيه بقاء واستمرار وفيه استثمار لما خلق الله عز وجل الإنسان.

فذكر الله عز وجل هذا المثل بالفلز عندما يفتن ، يعرض للنار يخرج ما فيه خبث و تعلق به من باطن الأرض ثم قال الله عز وجل " ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله " مدلول هذه مما الفلزات من المعادن وهي قابلة للطرق والسحب التي تنصهر بالنار كالذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير وغيرها في النار ، الجار المجرور في النار ، متعلق بأمر محذوف يفهم من تقدير السياق ، والمعنى مما يوقدون عليه مما هو ملقى في النار ، يلقى

في النار ، قال الله عز وجل " ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله " أي أمر يلقى في النار الموقدة بقصد طلب تحصيل الذهب والفضة الخالصة وصفائها مما علق بها .

(أو متاع): أي أمر يُنتفَع به كصنع الأواني وأدوات الحرب وغير ذلك، النار داخلة في مثل هذا، (زبد مثله): أي أن الخَبَثَ الذي تفرزه هذه الفلزات يكون كالزبد وهذا الزبد يشابه الرغوة التي تعلو الماء في المثل الأول، فهذه الرغوة التي تعلو الماء لا فائدة منها ولا استمرار لها ولا بقاء لها وهي في مآلها تزول ولا تبقى، فكذلك هذا الخبث لا يُراد لذاته، فما يصنعه الله –جل في علاه– في المؤمن إنما هو لنقائه، وإنما هو لبقاء الحق خالصاً، ولتخليص الحق من الباطل الذي يَعلَق فيه، فالجُفاء يلقيه السائل بعيداً ليصفو الماء وتصفو النفس بالامتثال لأمر الله من الوحي الذي شُبِّه بالماء، حينئذ يبقى الامر خالصاً.

قلت لكم وذكرت لكم في الدرس الماضي كلام ابن القيم في معنى قول النبي –ﷺ–: {من كان آخر كلامه لا إله إلّا الله دخل الجنة)، فمن نطق بلا إله إلا الله وهو ملقى مُسَجَّى على فراش الموت قد يأس من الشهوات والشبهات فإن لها طعماً وإن لها أثراً، وهذا الأثر لا يعلمه العبد ولا يُجازى به إلا بأن يكون مآله الجنة.

أريد أن أربط هذا الكلام بمذهب رديء ذكرناه سابقاً وفصلناه في شرحنا لكتاب (تجريد التوحيد) للمقريزي، لما ذكرنا أن في العبادات فرقة تنفي وجود الحكمة والعلة منها وهذه الفرقة الأولى وهي أردأ الفرق، وفصلنا في الكلام عليها طويلاً، لكني الآن أريد أن أتكلم عن جزئية، الإمام ابن القيم –رحمه الله– ألّف كتاباً للرد على هذه الفرقة سماه (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)، فالله –جل في علاه– لا يصنع شيئاً البتة بما فيه ما ذكره

الله –سبحانه وتعالى– في هذا المثل إلّا لحكمة، وهذه الحكمة بالغة، عَلِمَها مَن عَلِمَها وجَهِلَها مَن جَهِلَها، ولذا لما ذكر الإمام ابن القيم في آخر حديثه على المثلين (الماء والنار) للمؤمنين، قال كلمة بديعة ينبغي للعبد الموفق أن يتأملها كثيراً وأن يُقَلِّبَ النظر فيها، قال: (ومن لم يفقه هذين المثلين ولم يتدبرهما ويعرف ما يراد منهما فليس من أهلهما)، نحن إن شاء الله تعالى من أهل هذين المثلين ونحن وإياكم نتذاكر ونتدبر هذه الأمثلة لنفهم مُراد الله –عز وجل– ولتترسخ سُنن الله تعالى في نفوسنا.

فمما ذكر والمثل ناري وقلنا هذا المثل أشبه ما يكون بالمثل الذي فيه حرارة وفيه ما يجري بين المسلمين والكافرين في القتال الحربي، فذكر في الرد على الفرقة الأولى، مَرَّ على أشياء كثيرة وذكر الحكمة والتعليل منها، هو أصَّل في الرد المجمل، ثم بعد أن رد الرد المجمل بدأ يُفصل في الجزئيات ومر على أشياء كثيرة، فمما قال فيما يفيد في هذا المثل قال: (وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه؟).

هل من حكمة في تسليط الله ليهود على المسلمين؟

قطعاً هناك حكم عظيمة، حكم كبيرة، وينبغي ونحن نعيش ظروفاً عسرة، وأرجو الله –عز وجلّ– أن يُفرّج عن المسلمين وأن يكون للمستضعفين وأن ينصرهم وأن يُبعد كيد الكافرين ومكرهم عنهم وعنا وعن المسلمين جميعاً، فاليهود لا يكتفون، اليهود عندهم عقيدة موجودة مُنصَّصَة في التوراة، ويعملون على التوراة، اليهود يعملون على ما هو موجود في بعض أسفارهم في التوراة جفاف النيل، ويعتقدون أن الله خلق الخلق من أجل تحقيق المآرب والمصالح والشهوات من أجلهم، فهم كالحمير يُركبون لتقضى مآربهم، وهذا أمر معروف في كتبهم.

فيقول الإمام ابن القيم –رحمه الله–: (وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب فكم لله في ذلك من حِكَم باهرة، منها حصول محبوبه من عبودية الصبر والجهاد).

الله يحب الصبر، والصابرون الله يوفيهم أجرهم بغير حساب.

نُكمل كلام ابن القيم: (وتحمل الأذى والرضا فيه والرضا عنه في السراء والضراء، والثبات على عبوديته وطاعته مع قوة المعارض وغلبته وشوكته).

مع أنه قوي ويوظف الدنيا كلها وجيوش الدنيا كلها في محاربته.

نُكمل كلام ابن القيم: (مع هذا الله –عز وجل– يمحص أولياءه من أحكام البشرية ودواعي الطباع ببذل نفوسهم له، وأذى أعدائه لهم وتمييز الصادق من الكاذب ومن يريده سبحانه ويعبده على جميع الحالات ممن يعبده سبحانه على حرف)، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الحج –11.

فالله يبتلي، وخلق الله الخلق من أجل الابتلاء، كذلك ليُحصل لهم مرتبة الشهادة وهي أعلى المراتب، الذي يموت ليس ميتاً، الذي يُقتل في سبيل الله ليس ميتاً إنما هو حي، ماذا يعني حي؟ ينقله سبحانه وتعالى من التي هي أدنى إلى التي هي أعلى (والآخرة خير وأبقى)، الآخرة خير للمؤمن، والآخرة أبقى في الملذات والشهوات من الدنيا، والآخرة خير وأبقى، فالله –جل في علاه– كتب هذه السنة الكونية من الابتلاء والمدافعة التي تكون بين المسلمين والكافرين

ليخلص أحبابه وأولياءه من كدر هذه الدنيا وينقلهم من هذه الحياة المليئة بالمكدرات والمنغصات إلى تلك الحياة الباقية الدائمة.

قال: (ولا شيء أبر عنده من الحبيب من بذل محبة نفسه في مرضاته ومجاهدة عدوه، فكم لله في هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة).

هذا فيه رحمة وفيه نعمة وفيه حكمة لكن لمن كان أهلاً لهذا المثل ولمن تدبره ولمن فهمه الفهم الصحيح.

وإذا شئت أن تعلم ذلك فتأمل الآيات في أواخر سورة آل عمران: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) الى قوله تعالى: (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) إلى قوله: (مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ).

ما كان الله هذه ذكرناها وتعلمنا في شرحنا لكتاب التجريد هذه سنن كونية، ذكر الله (ما كان) ما ينبغي هذه أحكام سنن الله الكونية، بخلاف الأحكام الفقهية الخمسة في سنن الله الشرعية.

يقول: (فكان هذا التمييز).

الشيخ: هذا صاحب اللب... صاحب العقل... صاحب المعرفة لسنن الله -جل في علاه- وما يجري في هذا الكون.

نُكمل: (فكان هذا التمييز من بعض حكم ذلك التسليط، ولولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والعفو وكظم الغيظ، ولا حلاوة لنصرٍ ولظفرٍ وللقهر فإن الأشياء يظهر حسنها بأضدادها، ولولا ذلك التسليط لم تستوجب الأعداء المحق والإهانة والكبت، فاستخرج ذلك التسليط من القوة إلى الفعل عند أوليائه فاستحقوا كرامتهم عليه وما عند أعدائه فاستحقوا عقوبتهم عليه كان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته في الفريقين وهو سبحانه العزيز).

ما معنى العزيز؟

العرب تقول: (مَن عَزَّ بَزَّ) في المثل، ومعنى مَن عَزَّ بَزَّ أي مَن غَلَبَ سَلَب، وعزيز أي القوي الغالب، وليس فقط عزيز –سبحانه– فهو حكيم، إيّاك أن تَسخَطَ على الله، وإيّاك أن تفوتك هذه الحكم التي فيها تسليط الكفار على المسلمين، وهذا التسليط هو إن شاء الله تعالى يكون بداية خيرٍ لهذه الأمة، فالمتغطرس إن تَكبَّر وتَجبَّر وتسلط فهو ظالم، والمظلوم الله –عز وجل– لا بد أن ينصره.

ولكن ذكرت في درسي (صحيح مسلم) قاعدة مهمة حتى نتحسّس ونجد وندرك جواباً لسؤالٍ الأحداث تثيره، يقول كثير من الناس يقولون: (نحن مظلومون، ولا ظلم أكثر من الظلم الذي يقع علينا، ونرفع أيدينا وندعو ولا نجد ثمرة للإجابة !!!)، والنبي –ﷺ– قال: (دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب)، الله عز وجل يجيبها، فلماذا لا تستجاب دعواتنا على أعدائنا ؟ وهذه لفتة نَبَّهَ عليها وهي مهمة وينبغي أن تُشاع وتُذاع في الناس، نَبَّهَ عليها أبو العباس المقريزي في كتابه (درر العقود الفريدة)، تَرجمَ لرجلٍ اسمه أحمد ويُعرَف ب: (صارو سيدنا)،

وصارو هذا اسم تركي ومعناه الأشقر، قال كلمة بعد أن جلس معه وباحثه ووقعت المباحثة ففي عين هذه المسألة، فذكر كلاماً وهذا الكلام لا يعرفه إلا من عرف واقع الناس وحقيقة الناس وعرف سنن الله –سبحانه وتعالى– في كونه، يقول أبو العباس المقريزي قال لي –وقد جاءني لدمشق زائراً في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، والناس إذ ذاك من الظلم في أخذ الأموال والعقوبة على أخذ أجر مساكنهم بحال شديدة، وأخذنا نتذاكر في ذلك فقال لي: (ما السبب في تأخر إجابة دعاء الناس في هذا الزمان، وهم قد ظُلِموا غاية الظلم بحيث أن امرأة شريفة عوقبت لعجزها عن القيام بما أُلزِمَت به من أجرة سكنها الذي هو ملكها، مع قوله –صلى الله عليه وسلم–: اِتَّقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)، والحديث في الصحيحين من حديث عبدالله بن عباس، نُكمل: (قال: وها نحن نراهم منذ سنين يدعون على من ظلمهم ولا يُستجاب لهم، قال فأفضنا في ذلك)، : أي توسعنا في الكلام وفي تقليب النظر في هذه المسألة، (قال فأفضنا في ذلك حتى قال سبب ذلك أن كل أحدٍ في هذا الوقت صار موصوفاً بأنه ظالم، صار كل أحد موصوفاً بأنه ظالم لكثرة ما فشا من الظلم، من ظلم الراعي والرعية فكأنه لم يبق في الحقيقة مظلوم، لأننا نجد عند التأمل كل أحد من الناس في زمننا وإن قَلَّ يَظلِم في المعنى الذي هو فيه مَن قَدَر على ظلمه، ولا نجد أحداً يترك الظلم إلا بعجزه عنه، فإذا قدر عليه ظلم، فَبَانَ أنهم لا يتركون ظلم من دونهم إلّا عجزاً لا عِفّةً)، ليس عفة عن ترك الظلم وإنما عجز عن الظلم، الذي لم يظلم غيره هو عاجز عن الظلم ولو تمكن من الظلم لفعل، نكمل قول المقريزي: (ولَعَمري لقد صدق –رحمه الله–، وقد قيل قديماً:

والظُّلمُ مِن شِيَمِ النُفوسِ فإن تَجِد .... ذا عِلَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظلم

العلة أنه هو لا يستطيع الظلم.

وذكرت لكم فتنة الرجل في أهله؛

أنت ظالم أهلك أنت ظالم نفسك، إذا لم تأمر أولادك بالصلاة.

فتنة الرجل في ماله؛ ظالم نفسك إن لم تتصدق، ظالم نفسك إذا لم تأمر جيرانك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ظلمة، ولذا لما ترفع يديك وتقول يا رب يا رب يا رب

وأنت ظالم ما تتوقع أن الله عز وجل يستجيب لك، اتهم نفسك، فلما يقع عدم القبول الدعاء لا تتهم ربك اتهم نفسك، ما تتهم الله عز وجل.

اليوم الناس في مفترق طريق، والأحداث التي تجري إما ان تقدمهم الى خير وأرجو الله ذلك

وإما أن ترجعهم القهقرى إلى مئات السنين، وستسمع وستجد للأسف كلام كثيرا في السخط على الله عز وجل، والناس هم ظلمة والناس لا يعرفون قوانين الله عز وجل، هذا القانون لا يتخلف، ومن سنة الله تعالى فيما علمنا بالتطبيق العملي عند الأنبياء أن الله عز وجل يؤخر ظهور الحق ويسلط الأعداء على الأولياء لحكم سمعتموها من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، وهذا التأخير له حكمة؛ تأمل معي قول الله عز وجل: ((بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق))؛ غثاء. زاهق هو الغثاء في هذه الآية، تأمل معي الآية من الذي يسبق الحق أم الباطل؟ الباطل ، بل نقذف بالحق على الباطل، يقذف بالحق على الباطل ، من الذي يسبق؟ الباطل، لو بقي الباطل خالص دون شائبة، أصحابه لا يعرفونه ولا يقدرونه، ولذا الله جل في علاه يبتليهم ليمحصهم ويبين لهم حقيقة الحق من الباطل وأن الحق

لله سنن لابد لمن حمله أن يبذل وأن يضحي وأن يستعد لأن يموت في سبيل نصرة الحق ، ولذا كلام ابن القيم في الفروسية في موضوع المغالبات وموضوع المسايفات وموضوع المراهنات في الرمي وغيره يقول: والتأخر أحسن موقعا وأعظم قدرا، ولهذا قال موسى للسحرة وقد خيروه أن يبتدأ هو أو يبتدئوا قبله، فاختار بدائتهم أولا ثم ألقى هو بعدهم وفي هذا وجوه كثيرة من الحكمة؛ منها أن المبطل يستفرغ وسعه ويستنفذ حيله ولا يبقى له شيء حتى يقال لو أنه أتى به لغلب؛ فعل الذي يستطيع.

ومنها أن يكون هو الباغي، هو الذي بدأ هو الباغي فيكون ادعى إلى نصرة الحق والمحق عليه.

ومنها أن نفوس الناس دائما تستشرف إلى المجيب أكثر من السائل وإلى المتأخر في المغالبات والمقارعات أكثر من استشرافها للأول فيكون ظفره وغلبه أعظم موقعا.

ومنها أن همة المحق لما يرى الباطل يصول ويجول تقوى وتتضاعف إذا شاهد خصمه وقد وضعت له أسباب الغلبة واستنفذ سهامه فتصير همته على ما شاهد من مقدار كيد خصمه كيف كان خصمه يرتفع همته.

ومنها أنه يأمن رجوع خصمه واستقالته فإن خصمه قد يرجع عن مقارعته إذا رأى قوته واستظهاره فلا تظهر غلبته فإذا بدأ خصمه أمن هو من رجوعه واستقالته، فإذا الحكمة في تأخير إظهار الحق سنة لله عز وجل أيضا، وهذه سنة مقترنة مع البلاء الذي خلق المسلم من

أجله ولكن المهم من ذلك كله أن نبقى سائرين على الطريق وأن نبقى مستقيمين فيه وأن نخلص نوايانا إلى الله عز وجل وأننا لا نريد من صنيعنا هذا إلا طاعة الله عز وجل.

أختم بمسألة مهمة وتصويب خطأ شائع للأسف عند كثير من الناس، وذكرته بإفاضة في كتاب قصص الماضيين عند قصة جرت لأيوب عليه السلام، وقصة أيوب صحيحة أخرجها ابن حبان في صحيحه أسرد لكم القصة ولكن أريد منها شيئا معينا وهو تصويب ذاك المفهوم حتى تتسع مداركنا لفهم المثل من نواح متعددة ولا يبقى أمامنا إلا النصر كما بعض الناس يمني نفسه فيه.

الأعداء وهذا أمر معروف أن اليهود أهل مكر وأهل خديعة ودائما يظهرون أنهم مساكين وأنهم مستضعفون، أنا قرأت الوثائق الأردنية الفلسطينية في سنة السبعة وستين، كتاب مطبوع مجلد قرأته في أول نشأتي العلمية، استغربت وأنا اقرأ سنة سبعة وستين كان عمري ست سنوات، فأحببت أن أعرف ماذا جرى وأشاهد يعني شيئا مما جرى سنة سبعة وستين فمشيت من أريحا إلى الشريعة إلى عمان مشيت على أقدامي أنا ووالدي أسأل الله أن يرحمهم وكانت الحرب في سبعة وستين شديدة، لكن لم تصل إلى الحرب الآن التي نشاهدها مع التطور، اقرأ الوثائق، تجد التصريحات في البيانات الرسمية اليهودية؛ سقطوا خلاص ما بقي شيء، ثم فجأة غلبوا الجيوش كلها جيوش العرب كلها، دائما اليهودي يظهر في أنه مسكين وللآن يظهرون هذا الأمر وهم ماضون على ما يريدون.

الشيخ محب الدين الخطيب في مجلته الفتح، وهي فتح لها من اسمها أكبر نصيب ويحق للمسلم أن يقرأها وأن يتأملها دائما، ولما تقع المدلهمات أنا أنظر في الفتح وهي مجلة بديعة، فذكر عن

اليهود قبل تسعين سنة أنهم يخططون لاحتلال غزة وأنهم يريدون احتلال غزة من أجل إقامة قناة بونغوريون لتعطيل قناة السويس، واليوم يقولون إقامة هذه القناة لابد منها، وتدخل على اليهود في كل سنة أقل تقدير ست مليارات، الحرب دينية والحرب اقتصادية والحرب وفق ما وجد في التوراة؛ حرب دينية.

الشاهد، ما يغركم أن يظهر اليهود أنهم اذلاء فهذا صنيعهم والذل مطبوع فيهم، وذكرت لكم أنهم من أجبن خلق الله وأنهم ما غلبوا العرب قط في يوم من الأيام إلا بظهير لهم، ما لم يكن لهم ظهير ليسوا أهل صولة وجولة وأهل حرب ونصر، هذا أمر معروف وذكره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

أريد أن أضيف لما قلت وأنا اتكلم عن سنن الله جل في علاه، وسنن الله تعالى لا ترحم أحدا، سنن الله ماضية، الله عالم، لا يغيب عن علمه شيء والله قادر لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى.

الحديث عند ابن حبان عن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثمان عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغدوان عليه ويروحان، واحد يأتي في أول النهار وآخر يأتي في آخر النهار، فيوم من الأيام اجتمع هؤلاء الاثنين، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، أيوب أذنب؟ أيوب نبي الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

أذنب؟، قال تعلم لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه وما ذاك؟ قال منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر

ذلك لأيوب عليه السلام، فتتفقد أيوب نفسه هل أذنبت ذنبا لم يذنبه أحد من العالمين، فقال لا أدري ما تقول أنا لست كذلك، الله عصم الأنبياء، ذنب لم يذنبه أحد من العالمين يستحيل في حق نبي الله عز وجل، قال لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى يحلفان بالله قال فأرجع إلى بيتي فأكفر عنه كراهية أن يذكر الله إلا بحق، كان يكفر عن يمين الحالف حتى لا يذكر الله إلا بحق، قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته امسكت امرأته بيده، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، كان يخرج يقضي حاجته وتمسك امرأته بيده فذات يوم ابطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان ، فلما رأته لم تعرفه قالت إي بارك الله فيك هل رأيت هذا النبي هذا المبتلى؟ والله على ذلك ما رأيت أحداً كان أشبه به منك إذ كان صحيحاً رأيت هذا المبتلى؟ فقال أيوب فإني أنا هو فإني أنا هو ، وكان له أندران أندر القمح وأندر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت ، النبي قال في صحيح البخاري قال "كان يكتسي عرياناً أيوب فكان يلقى عليه الجرار من ذهب وهو يغتسل حتى يعوضه الله تعالى ماله الذي فقده وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق الفضة حتى فاضت.

الشاهد من إيرادي لهذا الكلام هذا الرجل الذي قال عن أيوب أذنب ذنباً لم يذنبه أحد من العالمين اختلط وما أكثر هذا الاختلاط في هذا الزمان بين أمرين وهذان الأمران نحتاج دائماً أن نتخوف منهما وأن ننظر إليهما بعين فيها بصيرة وهي البلاء والعقوبة.

البلاء والعقوبة ، المؤمن يبتلى ويمكّن وهو خائف من أن يكون هذا البلاء عقوبة ، هذا شأن المؤمن ، لذا سئل الإمام الشافعي قال من أحسن في حق العبد أن يبتلى أم أن يمكّن؟ فقال سبحان الله سبحان الله وهل يمكّن العبد حتى يبتلى ، لا يمكن للعبد أن يمكّن حتى يبتلى لا تمكين للأنبياء قبل غيرهم إلا إن مروا بمرحلة البلاء ، أول الأمر يحتاج الإنسان أن يضبط أمره، وأن ينظر إلى سنن الله عز وجل، ولذا قلت لكم المشكلة في أمرين:

الأمر الأول: أن تأخذ النص بحق من الشريعة.

الأمر الثاني: أن تنزله في محله اللائق به في مكانه.

فإذا أخذت من الشريعة بحق ولكن أنزلته من غير عدل ظللت كما يصنع الإعلام ، فالنزع بحق والإسقاط بعدل هذا شأن العلماء والأولياء، العالم الصادق صاحب البصيرة وليس شأن آحاد الناس ، ولذا الناس ينشغلون ردة فعل الإعلام، والناس كما قلت لكم قتلى أو صرعى لمعركة الإعلام والمهندسون يخططون يريدون منك أن تتحمس ثم بعد ذلك تقع الفجيعة لا قدر الله ، فإن وقعت الفجيعة يمررون ما تبقى عندهم من مؤامرات على نفسيتك التي صنعوها ، طالب العلم لا ييأس ولا يقنط وقلبه متعلق بالله ، وفهمه متعلق بقال الله قال رسول الله، فاهم للأمثال فاهم للسنن، وهذه السنن لا تحابي أحداً، لا يمكن أن يفت من عضد طالب العلم وأن ييأس، لا يمكن ولو امتلأت الناس الدنيا كلها أمة لا يمكن لأنه يفهم قوانين الله سبحانه وتعالى، فالخوف أنه ما يفهم العبد أنه هذا عقوبة من الله ولا هذا بلاء من الله ليمحص الخبيث الذي يجري حتى يقع فيه الثبات.

لي كلام مطول وذكرت الفرق بين العقوبة والبلاء وسأذكره في إن شاء الله في موقعي في الدرر الحسان، أكثر من ثمانية فروق ولعل الوقت يطول الآن في استعراض هذه الفروق الثمانية ، هي بين يدي لكن أضعها بإذن الله تعالى في الموقع حتى نستطيع أن نميز بين العقوبة والبلاء.

الخوف أننا ننتظر نصراً ونحن لا نستحق النصر ، وهذا كحال من يقول إحنا مظلومين ودعينا والله ما استجاب إلنا.

أنت في كلامك هذا تتهم من؟ تتهم الله عز وجل ، تتهم نفسك أنت ظالم أنت ظالم وأنا ظالم وكلنا ظلمة كلنا ظلمة ظلمنا أنفسنا ، فما ينبغي أن نشك في شيء ورد في آية أو في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ هذه ثوابت وهذه الثوابت ينبغي أن تبقى في قلوبنا مستقرة باقية دائمة ، فالنصوص الشرعية فيها عصمة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لأنها تنزيل من حكيم حميد.

أكتفي بهذا المقدار وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى على آله وصحبه أجمعين.

أغلب المسلمين نعم بل ما غلبوا العرب، اليهود جبناء لو القتال مع اليهود قتال واجب وجه لوجه ما يمكن أن يقف اليهودي أصلاً ما يقاتلون المسلمين ولا يقاتلون أصلاً ما دام أي بطل لليهود؟ أي فاتح لليهود؟ يهربون؟ نسأل هذا التاريخ ننظر في التاريخ مين أبطال اليهود؟ مثل الرافضة مين من أبطال الرافضة؟ ماذا فعل الرافضة؟ أي بلاد فتحوا؟ أي المعارك خاضوا؟ أنظروا للمسلمين ترى عربيهم وأعجميهم من الأبطال لأنهم صدقوا الله جل في علاه يعني الآن أكرمنا الله عز وجل بكرم من عنده أنه آخر فتح لبيت المقدس كان على يد صلاح الدين،

وصلاح الدين ليس بعربي، صلاح الدين كردي ليس بالعربي وصلاح الدين مما لا يعرف كثير من الناس صلاح الدين حسنة من حسنات نور الدين زنكي، نور الدين زنكي رجل عالم وصالح وهو الذي سبق ، هو الذي مهد لصلاح الدين بالفتوحات التي فعل، نور الدين الزنكي كان محدثاً وكذلك صلاح الدين، صلاح الدين آخر ما عرف من ذريته كان تلميذاً للحافظ ابن حجر العسقلاني، وعندي نسخة من فتح الباري قرأها اسمه يوسف وهو من ذرية صلاح الدين الأيوبي ، قرأها يوسف هذا على ابن حجر، وهذه النسخة نفيسة وعليها خط الحافظ بن حجر وترجم له السخاوي في الجواهر والدرر في مبحث التلاميذ، فهذا يوسف ترك السياسة وانشغل بالعلم ، ووجدت نسخة نفيسة قرئت على صلاح الدين من سنن ابن ماجه أو على من هو حفيد له عبد المحسن من سنن ابن ماجة هم من أهل العلم وأهل الفضل، فنور الدين زنكي كان في مجلس يسمى عند علماء الحديث المسلسلات، فكان جالساً عند شيخ يروي حديث المسلسل بالتبسم ، يعني أخبرني وتبسم أخبرني وتبسم فيبقى السند إلى النبي ﷺ فهذا يسمى عند العلماء المسلسل بالتبسم، فنور الدين زنكي فقال تبسم قيل له تبسم حتى يصح سند تسلسل بالتبسم قال والله لا أتبسم وبيت المقدس أسير عند الكفار، لا أتبسم فما قبل هذا التبسم ، قال حتى أحرر بيت المقدس، فهذا صنف من الخلق الله عز وجل يمن على الناس بصالحين بين الحين والحين.

س: هل من يموت بالهدم في غزة يجمع له شهادة الهدم؟ وشهادة الموت في سبيل الله من عدو؟

ج: الشهادة في سبيل الله من مات لرفع كلمة الله مقبل غير مدبر ، سنة لله جل في علاه، قد تجد إنسان يضعف في بعض المهام ، وفرق بين من مات تحت الردم تحت الهدم والمبطون

والغريق والمرأة التي تموت بجمع بنفاس عند الولادة، فهذا الصنف شهيد آخرة وليس شهيد دنيا، فمن يموت تحت ردم أو بغرق أو مبطون أو امرأة تموت بجمع فهذا عند الله شهيد وفي الدنيا نغسله ونكفنه ونصلي عليه، فهو الدنيا ليس أحكامه أحكام الشهيد.

أما من مات في المعركة فهو شهيد دنيا وقد يكون شهيد آخرة وقد لا يكون ، فإن مات في المعركة ونيته فاسدة وليست نيته إعلاء كلمة الله فهذا شهيد دنيا وليس بشهيد آخرة ، لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ، فإن مات في المعركة لإعلاء كلمة الله فهو شهيد دنيا وشهيد آخرة.

إذاً الشهادة ثلاث أنواع: شهيد دنيا وآخرة ، شهيد دنيا وليس بشهيد آخرة، وشهيد آخرة وليس بشهيد دنيا، الشهادة ثلاثة أصناف دنيا وآخرة ، دنيا دون آخرة ، وآخرة دون دنيا، وهذه أحكامهم عند العلماء ، فمن مات تحت هدم وهو يقاتل في سبيل الله سبحانه وتعالى فهو له الشهادة الرفيعة بل الأرفع.

ما هي الشهادة الأرفع؟

الشهادة الأرفع أنه شهيد دنيا وشهيد آخرة.

وأما من مات فتحت الهدم فقط فهو شهيد آخرة فقط كما قلنا الأرفع ، فهو دنيا وهو شهيد دنيا وشهيد آخرة معاً .

والله تعالى أعلم.